

السيرة العطرة لعلي بن أبي طالب.. واستخدامها لغير أغراضها

من أكثر الشخصيات الإسلامية تأثيراً بشهادة تجاوزت المسلمين والعرب



من باب القضاء ولج عالم المفاوضات فأرسي أسس ومبادئ السيادة قبل أن يحددها جان بودان في كتابه "الجمهورية". الحديث ليس عن فيلسوف عاصر بودان بل عن علي بن أبي طالب الذي سبق بودان بألف عام، وقال عنه جبران خليل جبران "ما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة". بعد أكثر من 1400 عام لا يزال علي، كما يجادل حسن إسميك في هذا المقال، صالحاً لكل زمان ومكان ووعاء متسعاً يستطيع كل إنسان أن يغترف منه.

حسن إسميك
كاتب عربي

بعيدا عن الجدل السفسطائي المفرق، والنسب غير المنطقي لجماعة دون أخرى، ساخوخ حديثي اليوم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ الإنسان والخليفة الراشدي، صهر نبي المسلمين محمد (عليه الصلاة والسلام) وابن عمه ومحل ثقته، ثم الفيلسوف العادل، الذي طغت نزعتة العقلية على فكره وفلسفته، فكانت رباطاً محكما بين الدين والدنيا، صالحاً لكل زمان ومكان، ووعاء متسعاً يستطيع كل إنسان أن يغترف منه، وججة دماغه في وجه من يريد بالحق باطلاً. وبعد أكثر من 1400 عام، لا يزال علي بن أبي طالب من أكثر الشخصيات الإسلامية تأثيراً، بشهادة تجاوزت المسلمين والعرب.

فكر إنساني فريد

رغم أنه دائماً ما أحاطت الإشكاليات بالشخصيات التاريخية، فنجد من يغالي في حبها حد التقديس، ومن يبغضها ويجزئها من سماتها الأخلاقية والإنسانية، بقيت شخصية علي وفكره النير موضع إجماع لدى المسلمين بغنائهم وطوائفهم المختلفة.

إيران تستخدم التشيع
للتسلل إلى قلب المجتمع
العربي وزرع التفرقة بين
أبنائه بالاستناد إلى محبة
علي بن أبي طالب والولاء له

وربما علينا أن نولي هذا الإجماع ما يستحقه من اهتمام، سعياً لجعله إطاراً يجمع المسلمين ديناً ودنياً، فيكون النسخ الذي يغذي وحدتنا، بعيداً عن محاولات

الاحتكار والاستغلال السياسي لفكر إنساني فريد تمتع به أحد المبشرين بالجنة. ظهرت النزعة العقلية لدى علي بن أبي طالب في وقت مبكر من حياته، فاكسب ثقافة عالية ردها الدين الصحيح الذي استقاه من المهمل مباشرة، بقربه من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتحول خلال فترة زمنية قصيرة من مستقبل وجامع للأفكار، إلى مرسل ومنتج لها، فصهر كل المعارف في بوتقة العقل، وقدمها مقترنة بالبلاغة والبيان والفصاحة، ما جعلها أقرب إلى عقول الناس على اختلاف معتقداتهم وأزمانهم.

كان علي، دون شك، أحد أهم العقول العربية التي دأبت على فتح الآفاق أمام الأبعاد الفلسفية المنقذة للقواعد والنصوص التي أطرت الحياة بحدودها الجامدة، وتكثرت هذه الفلسفة ببلاغة



بعد أكثر من 1400 عام لا يزال علي من أكثر الشخصيات الإسلامية تأثيراً



علي ولي الله.. لوحة خطية من القرن الثامن عشر

توظيف سياسي لشخصية أجمع المسلمون بمختلف طوائفهم على حبا

يجري حالياً لاسم شخصية تاريخية بحجم علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وهي دعوة في الوقت ذاته لن يدعون أنهم أتباعه وشيعته للاعتقاد الحقيقي بنور علمه وبالمساواة التي سعى إلى إرسائها بين البشر، وعدم استغلالها بما يعاكس ذلك تماماً، كما ترى لدى النظام الإيراني الذي يعتمد استقطاباً طائفيًا بغياً، يعمق انقسام المجتمع الإسلامي، مرتكزاً على تصنيف المسلمين ما بين أتباع علي ومعادين له، وهذا غير صحيح بالمطلق.

تحاول إيران استخدام التشيع للتسلل إلى قلب المجتمع العربي وزرع التفرقة بين أبنائه بالاستناد إلى محبة علي بن أبي طالب والولاء له، فستغل الدين لخدمة أهدافها السياسية وفرض وجودها في المنطقة كقوة، علماً وأن تدخلات الحرس الثوري الإيراني وامتداداته في المنطقة بحجة محاربة إسرائيل أو بحجج أخرى، هي التي خزيت وافقرت دولاً غنية ومتقدمة كالعراق أو مكتفية كسوريا، مستغلة في الوقت نفسه ضعف الأنظمة العربية وإخفاها في إقامة حكومات ديمقراطية تبني الإنسان، وتعزز انتماء الوطني.



جبران خليل جبران
ما أقول في رجل تنتهي إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة

مخاض نعمة
ما عرفت رجلا دانت له اللفة مثلما دانت لابن أبي طالب

ختاماً لم يكن النتاج الإنساني والمعرفي لأي مفكر على مدى التاريخ حكراً على فئة دون أخرى، وليس من المقبول في عالم وصل أقصى درجات الانفتاح أن يتم تحجيم إنجاز فكري بحجم ما تركه علي بن أبي طالب للإنسانية جمعاء، وتوظيفه في خدمة أجندات وأيديولوجيات معروفة الأهداف. وإني لأعتقد جازماً أنه قد آن أوان الاستفادة من تاريخنا واقتفاء آثار عظامنا في ما فيه خدمة السلام والوحدة والقوة بدل النزاع والتشتت، علماً نستعيد مسارنا الصحيح فنصير قدوة للأخريين كما كان هؤلاء العظام لنا.

فكان عدل القضاء وأكثرهم حيطة وحذراً، واستكملاً لدوره في إرساء العدل، أظهر خصوصية مطلقة لرؤساء القضاة، ووضع الصفات والفضائل التي يجب أن يتحلى بها القاضي، فرسم بذلك المعالم الأولى لمؤسسة القضاء المتحررة من سطوة النظريات والقوالب الجاهزة. يظهر ذلك بوضوح في رسالته التي أرسلها إلى مالك بن الأشتر عندما ولاء حكم مصر في فترة خلافته، ومما جاء فيها "أن يكون القاضي متعلماً واسع المعرفة، لا تخربه الدنيا، يحكم بالبراهين والأدلة، ولا يصير رأيه إن أخطأ".

أقصى درجات الانفتاح

من باب القضاء ولج علي عالم المفاوضات وإدارة الأزمات، فأرسي أسس ومبادئ السيادة قبل أن يحددها جان بودان في كتابه "الجمهورية" بألف عام، وتحدث عن الشرعية والالتزام والبدائل والمصلحة، مترافقة مع العلم والصبر والثبات والمسؤولية، قبل روجر فيشر بالصف وأريعملة عام. واتشغل بأحوال الرعية ونصرة الفقراء والمستضعفين، ووضع اللجنة الأساسية لإحداث تحولات اجتماعية واسعة النطاق، فالغنى الاجتماعي والمحبوبات التي امتلكتها بعض الأعيان من أقرابه والتجار

وأصحاب المال. وتجلت رسالته العالمية في مقولته الشهيرة "الإنسان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"، مختصراً رسالة الإسلام الحقيقية التي تتخذ من الإنسان غايةً وهدفها، وداعياً إلى السلام والتسامح الذي انتهجه هو شخصياً حين أوصى بالإحسان إلى قائله وعدم تعذيبه، ومؤسساً لنظام إنساني يقوم على إلغاء الفروقات المبنية على مباحث التفوق الوهمي ونعائجه، والتي أدت أحياناً، في مراحل تاريخية كثيرة إلى دمار لا يوصف ومأس لا تتطاق. من المهم اليوم، وبعد سبر أغوار هذا الفكر المنقذ، أن نمنح بين الرسالة الإنسانية والتوظيف السياسي الذي

وأنا حدث لا أبصر القضاء؛ فوضع يده على صدره وقال: "الله مثبت لسانه وأهد قلبه، يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر ما سمعت من الأول فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء"، فما أشكل علي قضاء بعد، ويُعرف عنه أنه التزم طوال حياته بحل النزاعات الحاصلة بالعقل والقياس المنطقي حين يغيب فيها النص الشرعي،

معرفة الله في فكر علي مثلاً، لا تقتصر أجزاء الجنة أو عقابية النار، وإنما تقتصر بالمحبة دون شروط مسبقة، والمستندة إلى الحرية التي تدفع المرء للبحث والمعرفة والفهم، لا العبودية المنحجرة التي تقيد بالسلاسل الدنيوية. وبذلك، كان علي أول الناشرين على المعتقدات الدينية والدنيوية المنتشرة آنذاك، وقد نقل عنه قوله في وحدانية الله "لو كان لربك شريك لانتك رسلة"، فاتحاً باب الاستدلال البرهاني والوجداني في المعارف الإلهية، التي تبدأ من نفس الإنسان وباطنه التاملي، على عكس معرفة الأشياء بمدلولاتها الحسية، حيث تبدأ من الخارج إلى الداخل.

إلا القضاء

بالاستمرار في اقتفاء الأثر الفكري لعلي بن أبي طالب، يتضح لنا في كل مجال نزعة عقلية نحن أحوج ما نكون إليها اليوم، فطاعة الهوى تُفسد العقل، والعقل فضيلة الإنسان، وعقل المرء نظامه وهو حسام قاطع في كل حال. ونجد في كل فكرة نستقصيها لديه دعوة إلى استئلال هذا الحسام (العقل) في ميدان الحياة، فنحولها إلى منبع للخير بدلاً من جعلها مصدراً للشّر.

اشتهر علي بسداد الرأي، ربما هذا ما دفع رسولنا الكريم إلى وصفه بـ"أقضى الناس"، وهو الذي قال "كل شيء فيه حيلة إلا القضاء"، يروي عن نفسه قائلاً "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت: يا رسول الله بعثني إلى قوم أسن مني، أي أكبر مني سناً،

السياسي الذي